Al-Farouk journal of sciences
Volume (2), Issue (3) (JUNE, 2026)
ISSN: 3135-2359

مجلة الفاروق للعلوم
المجلد (2) ملحق العدد 3 يونيو 2026
ردمد: 3135-2359

النداء ودوره في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني في قصيدة "فراق" لأحمد رفيق المهدوي دراسة تداولية

نبيلة مسعود خليفة أبوصاع
كلية الهندسة – جامعة الزاوية / قسم العلوم العامة
https://orcid.org/0009-0005-4055-5283
n.abusaa@zu.edu.ly

The Call and its Role in Shaping Emotional National Discourse in Ahmed Rafiq Al-Mahdawi's Poem "Separation": A Pragmatic Study

Nabila Masoud Khalifa Abu Saa
Faculty of Engineering – University of Zawiya / Department of General Sciences

تاريخ الاستلام: 2026/05/24 تاريخ المراجعة 06/16/ 2026 تاريخ القبول:2026/06/28- تاريخ النشر: 07/16/ 2026

ملخص الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن دور النداء في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني في قصيدة "فراق" لأحمد رفيق المهدوي، وذلك من خلال مقاربة تداولية تنظر إلى النداء لا بوصفه تركيبًا نحويًا فحسب، بل بوصفه أداة خطابية فاعلة في بناء العلاقة بين المتكلم والمخاطَب. وتنطلق الدراسة من ملاحظة الحضور اللافت لصيغ النداء في القصيدة، ولا سيما صيغتي "أيها الوطن المفدّى" و"يا وطني"، وما تؤديانه من وظائف تتجاوز التنبيه إلى استحضار الوطن بوصفه مخاطَبًا حاضرًا في مقام القول.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في ضوء المقاربة التداولية، من خلال رصد صيغ النداء في القصيدة، وتصنيفها بحسب بنيتها وسياقات ورودها، ثم تحليل وظائفها في بناء دلالات الفراق، والوفاء، والانتماء، والاعتذار، ورفض الذل. وقد أظهر التحليل أن النداء يمثل عنصرًا مركزيًا في بناء النص، إذ يرد في المطلع والوسط والخاتمة، ويسهم في توحيد الخطاب حول مخاطَب واحد هو الوطن. كما بيّنت الدراسة أن النداء يحوّل الفراق من مجرد حدث مكاني إلى موقف وجداني وأخلاقي، يكشف استمرار الصلة بين الشاعر ووطنه رغم الرحيل.

وتخلص الدراسة إلى أن النداء في قصيدة "فراق" بنية تداولية مركزية تسهم في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني، وتكشف عمق العلاقة بين الذات الشاعرة والوطن المخاطَب.

الكلمات المفتاحية :النداء، التداولية، الخطاب الوطني، الوجدان، أحمد رفيق المهدوي، قصيدة فراق.

المقدمة

تتخذ هذه الدراسة من قصيدة "فراق" لأحمد رفيق المهدوي مادةً للتحليل، وهي قصيدة منشورة في *ديوان شاعر الوطن الكبير: الفترة الثالثة*، وتقوم في بنائها العام على موقف وداعي موجّه إلى الوطن، حيث يفتتح الشاعر نصه بقوله: "رحيلي عنك، عزَّ عليَّ جدًّا / وداعًا أيها الوطن المفدّى"، ثم يعود في خاتمة القصيدة إلى صيغة الوداع نفسها، بما يجعل النداء عنصرًا بنائيًا ظاهرًا في افتتاح النص واختتامه ([1]).

[1] أحمد رفيق المهدوي، ديوان شاعر الوطن الكبير: الفترة الثالثة، ط1، بنغازي: المطبعة الأهلية، 1382هـ/1962م، ص 53–54.

وتنبع أهمية هذه القصيدة من اتصالها بتجربة شاعر عُرف في ليبيا بلقب "شاعر الوطن"، لما اتسم به شعره من حضور واضح لقضايا الوطن، والاغتراب، والحرية، والكرامة. وقد تشكلت تجربته الشعرية في سياق تاريخي مضطرب، ارتبط بالاحتلال الإيطالي، والهجرة، والتنقل، والعودة إلى الوطن، وهي سياقات انعكست في شعره الوطني والوجداني ([2]).

ومن هنا تأتي أهمية دراسة النداء في قصيدة "فراق" من منظور تداولي، إذ لا يظهر النداء فيها بوصفه تركيبًا نحويًا محدود الوظيفة، وإنما بوصفه أداة خطابية تُحضر الوطن في مقام الكلام، وتجعله مخاطَبًا مباشرًا يتوجه إليه الشاعر بالوداع، والاعتذار، والتبرير، وتأكيد الانتماء. فصيغ مثل "أيها الوطن المفدى" و"يا وطني" لا تؤدي وظيفة تنبيهية فحسب، بل تكشف طبيعة العلاقة الوجدانية بين المتكلم والمخاطَب، وتحوّل الوطن من موضوع خارجي للقول إلى طرف حاضر في الخطاب الشعري.

وعليه، تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن دور النداء في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني في القصيدة، من خلال رصد صيغ النداء، وتحليل سياقاتها، وبيان وظائفها التداولية في بناء دلالات الفراق، والوفاء، والاغتراب، ورفض الذل.

مشكلة البحث

تنبع مشكلة البحث من ملاحظة الحضور اللافت للنداء في قصيدة "فراق" لأحمد رفيق المهدوي، ولا سيما في توجيه الخطاب إلى الوطن بصيغ مباشرة مثل: "أيها الوطن المفدّى" و"يا وطني". ولا يبدو النداء في القصيدة مجرد تركيب نحوي يؤدي وظيفة التنبيه أو طلب الإقبال، بل يتجاوز ذلك إلى وظيفة تداولية تسهم في بناء علاقة خطابية ووجدانية بين الشاعر والوطن. فالقصيدة تقوم على موقف فراق ووداع، غير أن هذا الفراق لا يُقدَّم بوصفه انقطاعًا عن الوطن، بل بوصفه موقفًا مشحونًا بالحب والوفاء والاعتذار ورفض الذل. ومن هنا تتمثل مشكلة البحث في الكشف عن الكيفية التي يسهم بها النداء في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني في القصيدة، وبيان وظائفه التداولية في استحضار الوطن مخاطَبًا، وتكثيف دلالة الفراق، وتأكيد استمرار الانتماء رغم الرحيل.

ويتحدد السؤال الرئيس للبحث في الآتي:

كيف أسهم النداء في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني في قصيدة "فراق" لأحمد رفيق المهدوي؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الآتية:

1. ما صيغ النداء الواردة في قصيدة "فراق"، وما سياقات ورودها؟
2. ما الوظائف التداولية التي يؤديها النداء في بناء علاقة الشاعر بالوطن؟
3. كيف يسهم النداء في إبراز دلالات الفراق والوفاء والانتماء داخل القصيدة؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن دور النداء في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني في قصيدة "فراق" لأحمد رفيق المهدوي، وذلك من خلال مقاربة تداولية تُعنى بوظيفة النداء داخل السياق الشعري. ويتفرع عن هذا الهدف العام جملة من الأهداف الإجرائية الآتية:

1. رصد صيغ النداء الواردة في قصيدة "فراق"، وبيان سياقات ورودها داخل البناء العام للقصيدة.
2. تحليل الوظائف التداولية التي يؤديها النداء في تشكيل العلاقة الخطابية والوجدانية بين الشاعر والوطن.
3. توضيح أثر النداء في إبراز دلالات الفراق والوفاء والانتماء ورفض الذل داخل القصيدة.
4. بيان كيفية انتقال النداء في النص من كونه بنية لغوية إلى كونه أداة فاعلة في بناء الخطاب الوطني الوجداني.

[2] انتصار محمد سالم الطياري، "إضاءات نصية على قصيدة فراق لأحمد رفيق المهدوي"، ضمن: المؤتمر العلمي الأول لقسم اللغة العربية وآدابها: الشعر الليبي الفصيح موضوعاته وقضاياه، جامعة الزاوية، كلية الآداب، 5–6 نوفمبر 2018م، ص 214–215.

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من عنايته بظاهرة لغوية محددة هي النداء، وتحليلها في نص شعري ليبي من منظور تداولي يكشف صلتها ببناء المعنى والخطاب. وتتمثل أهميته العلمية في أنه لا يكتفي بالنظر إلى النداء بوصفه تركيبًا نحويًا، بل يتجه إلى بيان وظيفته في استحضار المخاطَب، وتشكيل العلاقة بين الشاعر والوطن، وإنتاج الدلالات الوطنية والوجدانية داخل النص.

كما تبرز أهمية البحث من عنايته بقصيدة "فراق" لأحمد رفيق المهدوي، وهي قصيدة ذات حضور واضح في التعبير عن الفراق والاغتراب والوفاء للوطن. ومن ثمّ يسهم البحث في إثراء الدراسات اللغوية التطبيقية على الشعر الليبي، ويفتح مجالًا لقراءة النصوص الشعرية المحلية في ضوء المناهج اللسانية الحديثة، ولا سيما التداولية.

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في ضوء المقاربة التداولية، إذ يقوم أولًا على رصد صيغ النداء الواردة في قصيدة "فراق" لأحمد رفيق المهدوي، وتصنيفها بحسب بنيتها اللغوية وسياقات ورودها، ثم تحليل وظائفها التداولية داخل النص. ولا يقف البحث عند الوصف النحوي لصيغ النداء، بل يتجاوزه إلى بيان أثرها في استحضار الوطن مخاطَبًا، وبناء العلاقة الوجدانية بين الشاعر والوطن، وتشكيل دلالات الفراق والوفاء والانتماء.

وتتمثل إجراءات البحث في قراءة القصيدة قراءة سياقية، واستخراج مواضع النداء، وتحليل كل موضع في ضوء علاقته بالمقام الشعري العام، ثم ربط النتائج الجزئية بالدور الكلي للنداء في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني في القصيدة.

حدود الدراسة

تتحدد هذه الدراسة في ضوء الحدود الآتية:

1. **الحد الموضوعي:** يقتصر البحث على دراسة النداء ودوره في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني، دون التوسع في الظواهر الأسلوبية أو النصية الأخرى إلا بقدر ما يخدم موضوع النداء.
2. **الحد النصي:** تتخذ الدراسة من قصيدة "فراق" لأحمد رفيق المهدوي مادةً للتحليل، اعتمادًا على نصها الوارد في *ديوان شاعر الوطن الكبير: الفترة الثالثة*.
3. **الحد المنهجي:** تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في ضوء المقاربة التداولية، من خلال رصد صيغ النداء وتحليل وظائفها داخل سياق القصيدة.
4. **الحد الإجرائي:** تركز الدراسة على صيغ النداء الصريحة المتصلة بخطاب الوطن، مثل "أيها الوطن المفدى" و"يا وطني"، وما يرتبط بها من دلالات الفراق والوفاء والانتماء.

الدراسات السابقة

تتصل هذه الدراسة بعدد من الدراسات السابقة التي تناولت أسلوب النداء من زوايا نحوية وبلاغية وتداولية، كما تتصل بدراسات أخرى تناولت قصيدة "فراق" أو شعر أحمد رفيق المهدوي من زوايا نصية ونقدية. ويمكن عرض أهم هذه الدراسات على النحو الآتي:

تناولت دراسة أيمن محمود محمد إبراهيم، الموسومة بـ"النداء بين النحو والتداولية"، أسلوب النداء من زاوية تجمع بين الدرس النحوي العربي والمقاربة التداولية الحديثة. وقد انطلقت الدراسة من فكرة أن النداء لا ينبغي أن يُقرأ بوصفه بابًا نحويًا فحسب، بل بوصفه أسلوبًا لغويًا يتصل بعناصر التخاطب، مثل المتكلم، والمخاطَب، والقصد، والمقام، وتحقيق الإفادة، ودفع اللبس.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تقدم أساسًا نظريًا مناسبًا لفهم النداء بوصفه بنية تواصلية لا مجرد تركيب لغوي. غير أنها ظلت دراسة تنظيرية عامة، ولم تطبق نتائجها على نص شعري محدد، وهو ما تختلف عنه الدراسة الحالية التي تنقل هذا التصور إلى تحليل قصيدة "فراق" لأحمد رفيق المهدوي من منظور تداولي [3].

أما دراسة محمد مصطفى القطاوي، بعنوان "ملامح دلالية تداولية في أسلوب النداء في ديوان العودة من النبع الحالم للشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي"، فقد اتجهت إلى تطبيق المنهج الدلالي التداولي على أسلوب النداء في مدونة شعرية معاصرة. وركزت الدراسة على تتبع عدد من الظواهر التداولية المرتبطة بالنداء، مثل الإشاريات، والأفعال الكلامية، والاستلزام الحواري، والافتراض المسبق، والمقام. وتفيد هذه الدراسة البحث الحالي من حيث تأكيدها أن النداء في الشعر قادر على أداء وظائف تداولية متعددة تتجاوز حدود التنبيه أو طلب الإقبال. ومع ذلك، فإنها تختلف عن الدراسة الحالية في المدونة والغاية، إذ درست ديوانًا شعريًا لشاعرة فلسطينية، بينما تتجه الدراسة الحالية إلى قصيدة ليبية محددة، وتربط النداء بتشكيل الخطاب الوطني الوجداني [4].

وجاءت دراسة أم السعد عبد الله بن خليل وفوزية عبد الله بن خليل، بعنوان "أسلوب النداء في همزية البوصيري: دراسة لغوية بلاغية"، لتتناول النداء في نص شعري تراثي من زاوية لغوية بلاغية. وقد اهتمت الدراسة ببيان أدوات النداء وأغراضه ودلالاته الإيحائية في همزية البوصيري، مما يجعلها مفيدة في إبراز البعد البلاغي والدلالي لأسلوب النداء في الشعر العربي. غير أن علاقتها بالدراسة الحالية علاقة مساندة لا مباشرة، لأنها لم تتبنَّ المقاربة التداولية أساسًا للتحليل، كما أن مدونتها شعرية دينية مدحية، بينما تنشغل الدراسة الحالية بالنداء في نص وطني وجداني، وتبحث أثره في بناء العلاقة الخطابية بين الشاعر والوطن [5].

وفيما يتصل بقصيدة "فراق" نفسها، تناولت دراسة انتصار محمد سالم الطياري، بعنوان "إضاءات نصية على قصيدة فراق لأحمد رفيق المهدوي"، القصيدة من منظور نصي، مع العناية بجوانب من بناء النص وتماسكه. وتعد هذه الدراسة من أقرب الدراسات إلى البحث الحالي من حيث المدونة، لأنها اتخذت قصيدة "فراق" موضوعًا للتحليل. وتفيد الدراسة الحالية في تأكيد أهمية القصيدة وقابليتها للدراسة اللغوية، غير أنها تختلف عنها في زاوية التناول، فدراسة الطياري ذات طابع نصي عام، أما هذه الدراسة فتتجه إلى ظاهرة محددة هي النداء، وتدرسها بوصفها أداة تداولية في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني [6].

كما تناولت دراسة عبد الله امحمد أحبيكة، بعنوان "الرمز في الشعر الليبي: أحمد رفيق المهدوي أنموذجًا"، شعر المهدوي من زاوية الرمز والدلالة. وتبرز أهمية هذه الدراسة في أنها تؤكد حضور شعر أحمد رفيق المهدوي في الدراسات النقدية الليبية، كما تشير إلى قابلية شعره للقراءة الدلالية والرمزية. غير أنها لا تتناول قصيدة "فراق" تحديدًا، ولا تعالج أسلوب النداء أو وظائفه التداولية، ولذلك تفيد الدراسة الحالية بوصفها خلفية نقدية مساندة عن شعر المهدوي، لا بوصفها دراسة مباشرة في موضوع النداء [7].

---

[3] أيمن محمود محمد إبراهيم، "النداء بين النحو والتداولية"، المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة طنطا، ع36، ج1، يوليو 2019م، ص743–770.

[4] محمد مصطفى القطاوي، "ملامح دلالية تداولية في أسلوب النداء في ديوان العودة من النبع الحالم للشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي"، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج19، ع1، مارس 2022م، ص299–331.

[5] أم السعد عبد الله بن خليل، وفوزية عبد الله بن خليل، "أسلوب النداء في همزية البوصيري: دراسة لغوية بلاغية"، مجلة المنتدى الأكاديمي، مج6، ع2، يوليو 2022م، ص1–28.

[6] انتصار محمد سالم الطياري، "إضاءات نصية على قصيدة فراق لأحمد رفيق المهدوي"، ضمن: المؤتمر العلمي الدولي الأول لقسم اللغة العربية وآدابها: الشعر الليبي الفصيح موضوعاته وقضاياه، جامعة الزاوية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، 5–6 نوفمبر 2018م، إعداد للنشر: مسعود عبد الله مسعود الميساوي، ص214–250.

[7] عبد الله امحمد أحبيكة، "الرمز في الشعر الليبي: أحمد رفيق المهدوي أنموذجًا"، ضمن: المؤتمر العلمي الدولي الأول لقسم اللغة العربية وآدابها: الشعر الليبي الفصيح موضوعاته وقضاياه، جامعة الزاوية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، 5–6 نوفمبر 2018م، إعداد للنشر: مسعود عبد الله مسعود الميساوي، ص454–465.

ومن خلال ما سبق، يتضح أن الدراسات السابقة قد اتجهت في مسارين رئيسين: مسار أول تناول النداء من زوايا نحوية وبلاغية وتداولية، ومسار ثان تناول قصيدة "فراق" أو شعر أحمد رفيق المهدوي من زوايا نصية ونقدية. غير أن هذه الدراسات، في حدود ما اطلع عليه البحث، لم تفرد النداء في قصيدة "فراق" بدراسة تداولية تكشف دوره في استحضار الوطن مخاطَبًا، وبناء دلالات الفراق، والوفاء، والانتماء، ورفض الذل. ومن هنا تأتي خصوصية الدراسة الحالية، إذ تجمع بين متغير النداء، والمقاربة التداولية، والمدونة الشعرية الليبية، لتكشف عن دور النداء في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني في قصيدة "فراق".

أحمد رفيق المهدوي وقصيدة "فراق": مدخل تعريفي

يعدّ أحمد رفيق المهدوي من أبرز شعراء ليبيا في العصر الحديث، وقد ارتبط اسمه في الذاكرة الأدبية الليبية بالشعر الوطني، حتى عُرف بلقب "شاعر الوطن". وُلد بقرية فساطو في جبل نفوسة سنة 1898م، وتلقى جانبًا من تعليمه في الإسكندرية، ثم عاد إلى ليبيا، وعمل في بلدية بنغازي سنة 1920م. غير أن تجربته الحياتية ارتبطت بالتحولات السياسية التي شهدتها ليبيا في ظل الاحتلال الإيطالي، فتعرض للعزل من عمله، وهاجر إلى تركيا، ثم عاد إلى وطنه، وشارك لاحقًا في الحياة العامة بعد الاستقلال [8]، وقد أسهمت هذه التجربة، بما اتصل بها من هجرة واغتراب وحنين، في تشكيل حسه الوطني والوجداني، وهو ما انعكس بوضوح في عدد من قصائده.

وتنتمي قصيدة "فراق" إلى *ديوان شاعر الوطن الكبير: الفترة الثالثة*، وهي قصيدة مؤرخة بسنة 1936م. وتقوم في بنائها العام على موقف وداعي موجّه إلى الوطن، إذ يفتتحها الشاعر بقوله: "رحيلي عنك، عزّ عليّ جدًّا / وداعًا أيها الوطن المفدّى"، ثم يعود في ختامها إلى صيغة الوداع نفسها، بما يمنح النص بناءً دائريًا قائمًا على استحضار الوطن ومخاطبته. ولا يظهر الفراق في القصيدة بوصفه انقطاعًا عن الوطن أو تخليًا عنه، بل بوصفه موقفًا وجدانيًا وأخلاقيًا تتداخل فيه عزة النفس مع ألم الرحيل، ويؤكد الشاعر ذلك حين يصرح بأن هجرته ليست بغضًا للوطن ولا تحولًا عنه إلى سواه.

قصيدة "فراق": النص المعتمد في التحليل

اعتمدت هذه الدراسة على نص قصيدة "فراق" كما ورد في *ديوان شاعر الوطن الكبير: الفترة الثالثة*، وفيما يأتي نص القصيدة بوصفها مدونة التحليل:

فراق[9]

1936م

رحيلي عنك، عزَّ عليَّ جدًّا *** وداعًا! أيها الوطن المفدّى!
وداعَ مفارقٍ، بالرغم شاءت *** له الأقدار، نيل العيش، كدّا!
وخيرٌ من رفاه العيش كدٌّ *** إذا أنا عشتُ حرًّا مستبدّا!
سأرحل عنك، يا وطني، وإني *** لأعلم أنني قد جئتُ إدّا!
ولكني أطعتُ إباءَ نفسٍ *** أبت لمرادها في الكون حدّا!
علوُّ النفس، إن عظمت، شقاءٌ *** يلذُّ لمن إلى المجد استعدّا!
إذا رُزق الفتى نفسًا عزوفًا *** تهاون بالخطوب، وزاد جدّا!
طلبتُ العزَّ في وطني مقيمًا *** فأوسعني زمانُ السوء ردّا!
سأركبُ عزمةً حذّاءَ أمضي *** أقدُّ بها حجابَ الغيب قدّا!
أبلّغها، وراء السعي، عذرًا *** لنجحٍ صدَّ عنها أو تصدّى!

[8] خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، بيروت: دار العلم للملايين، 2002م، ج1، ص126.
[9] أحمد رفيق المهدوي، ديوان شاعر الوطن الكبير: الفترة الثالثة، ط1، بنغازي: المطبعة الأهلية، 1382هـ/1962م، ص53–54.

سواءٌ عاد بعد الجهد ساعٍ *** بفوزٍ، أم سعى حتى تردّى!
فلم أرَ راضيًا بالعيش إلا *** ضعيفًا، أو من الجبن استمدّا!
ويا وطني، هجرتك لا لبغضٍ *** ولا أني منحتُ سواك ودّا!
فلا والله، ما هاجرتُ حتى *** جهدتُ، ولم أجد من ذاك بدّا!
يقول لي الصديقُ: أرح ركابًا *** فإنك واجدٌ أربًا وجدّا!
يكلّفني، لأبلغَ، من حطامٍ *** غنىً، أرضى به ليدي قدّا!
فقلتُ لطالب الإحسان قيدًا: *** قبولُ القيد من شيم العبيدَا!
هداك الله، كيف تطيب نفسي *** وفي عنقي أرى للأسر قدّا!
تعفّف، ليس غير الله يعطي *** بلا منٍّ، ولا شكرٍ يؤدّى!
ويا وطني، نبا بي عنك حبٌّ *** وأحيانًا يكون الحب صدّا!
وقد يأتي الغيور بما يراه *** خليٌّ من جوىً، للعقل ضدّا!
فلستُ أُلام في تركي حبيبًا *** أرى في حبه الأعداء ندّا!
ويا وطني، وداعًا! من محبٍّ *** تحيّر رأيه أخذًا وردّا!
وداعًا، لا أظن له لقاءً *** فوا أسفًا إذا ما البين جدّا!
أناديه، وقد زُمّت ركابي *** وهدَّ البينُ ركنَ الصبر هدّا!
وجاشت، تخنق العبرات صوتي *** وداعًا! أيها الوطن المفدّى!

وتنبع أهمية القصيدة في هذه الدراسة من حضور الخطاب المباشر فيها حضورًا لافتًا، إذ يتكرر النداء في مواضع مركزية من النص، مثل: "أيها الوطن المفدّى" و"يا وطني". ومن ثمّ لا يتشكل الوطن في القصيدة بوصفه مكانًا غائبًا أو موضوعًا خارجيًا للوصف، بل يظهر بوصفه مخاطَبًا حاضرًا في مقام القول، يتوجه إليه الشاعر بالوداع، والاعتذار، والتبرير، وتأكيد الانتماء. وهذا الحضور الندائي يجعل القصيدة مناسبة لدراسة النداء من منظور تداولي، للكشف عن دوره في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني داخل النص.

المبحث الأول: النداء بين البنية اللغوية والوظيفة التداولية

أولًا: النداء في الدرس اللغوي العربي

يمثل النداء أحد الأساليب الإنشائية الطلبية في العربية، ويقوم في صورته العامة على استدعاء المخاطَب وتنبيهه للإقبال على المتكلم. وقد عرّفه النحاة بأنه طلب الإقبال بحرف من حروف النداء، وقد يكون هذا الإقبال حقيقيًا، كما في نداء القريب أو البعيد، وقد يكون مجازيًا يراد به الاستجابة أو تقوية المعنى وتوكيده[10]، ومن ثمّ لا يقتصر النداء على كونه بنية تركيبية مؤلفة من أداة ومنادى، بل يتصل منذ أصله بوظيفة تواصلية قائمة على وجود متكلم ومخاطَب ومقام تخاطبي.

وقد حظي النداء بعناية واضحة في الدرس النحوي العربي، حتى أفرد له النحاة بابًا مستقلًا، مع كونه يتصل في أصله بباب المنصوبات، لأنه يقوم على تقدير فعل محذوف نحو: "أنادي" أو "أدعو". وهذا التقدير يكشف أن النداء ليس مجرد حرف يدخل على اسم، وإنما هو صيغة لغوية تنوب عن فعل كلامي موجه إلى مخاطَب مخصوص [11]، كما أن ارتباط النداء

[10] علي بن محمد الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998م، ج3، ص15.
[11] فهيمة لحلوحي، "النداء وقضاياه في ضوء المنحى الوظيفي"، حوليات المخبر، مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 1، ديسمبر 2013م، ص155.

بالصوت وطلب الإقبال يجعله أقرب الأساليب إلى المجال التخاطبي المباشر، إذ ينهض على استحضار المنادى وتنبيهه وتوجيه الخطاب إليه.

وتكتسب أداة النداء أهميتها من كونها علامة افتتاحية للخطاب، فهي تتصدر التركيب وتمنحه معنى النداء. وقد تنوعت أدوات النداء في العربية، غير أن الاستعمال اللغوي جعل أداة "يا" أكثرها حضورًا واتساعًا، لما تتسم به من قابلية لنداء القريب والبعيد، الحقيقي والمجازي [12]، ويترتب على ذلك أن دلالة النداء لا تُفهم من الأداة وحدها، بل من مجموع العلاقة بين الأداة، والمنادى، والسياق الذي ترد فيه الصيغة الندائية.

ثانيًا: النداء في ضوء المقاربة التداولية

تنقل المقاربة التداولية دراسة النداء من حدود الوصف النحوي إلى مجال أوسع يتصل باستعمال اللغة في السياق. فالتداولية تنظر إلى الخطاب بوصفه فعلًا تواصليًا يشارك في إنجازه متكلم ومخاطَب وسياق وقصد وأثر، ولا تكتفي بتحليل البنية اللغوية منعزلة عن ظروف إنتاجها وتلقيها[13]، وبناءً على ذلك، يصبح النداء بنية لغوية ذات وظيفة خطابية، لأنه لا يكتفي بتسمية المنادى أو تنبيهه، بل ينشئ علاقة مباشرة بين المتكلم والمخاطَب.

ومن هذا المنظور، يمكن النظر إلى النداء بوصفه فعلًا لغويًا، لأنه يتحقق في القول ويؤدي وظيفة إنجازية داخل الخطاب. فالمنادي لا يصف مخاطَبًا فحسب، بل يستحضره ويجعله طرفًا في العملية التخاطبية. ولهذا يرتبط النداء بأدوار الخطاب الأساسية: فالمنادي هو المتكلم، والمنادى هو المخاطَب، وما يأتي بعد النداء يمثل مضمون الخطاب أو غايته [14]، وتزداد أهمية هذا التصور في النص الشعري، لأن النداء قد يتجاوز طلب الإقبال الحسي إلى استحضار مخاطَب رمزي أو وجداني، كما في نداء الوطن أو الليل أو الدهر أو الحبيب.

وقد اتجهت بعض الدراسات اللسانية الحديثة إلى عدّ المنادى وظيفة تداولية، لا مجرد موقع نحوي داخل الجملة، لأن المنادى يدل على كائن يستحضره المتكلم في مقام معين، ويمنحه موقع المخاطَب داخل القول [15]، وهذا التصور مهم في دراسة قصيدة "فراق"، لأن الوطن في القصيدة لا يرد بوصفه مكانًا غائبًا، بل يتشكل من خلال النداء بوصفه مخاطَبًا حاضرًا يتوجه إليه الشاعر بالوداع والاعتذار والتبرير.

وعليه، فإن النداء في هذه الدراسة لا يُتناول بوصفه بابًا نحويًا مستقلًا، بل بوصفه أداة تداولية تسهم في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني. فالانتقال من قول الشاعر عن الوطن إلى قوله للوطن هو انتقال من الوصف إلى التخاطب، ومن الحديث عن موضوع خارجي إلى بناء علاقة خطابية مع مخاطَب رمزي حاضر. ومن هنا يصبح النداء مدخلًا مناسبًا لفهم الكيفية التي تتحول بها قصيدة "فراق" إلى خطاب وجداني مباشر، ينهض على استحضار الوطن وتكثيف دلالات الفراق والوفاء والانتماء.

المبحث الثاني: صيغ النداء في قصيدة "فراق" وسياقاتها

ينتقل هذا المبحث من التأصيل النظري للنداء إلى رصد حضوره النصي في قصيدة "فراق" لأحمد رفيق المهدوي، من خلال استخراج صيغ النداء الصريحة، وتصنيفها بحسب بنيتها اللغوية، وبيان سياقات ورودها داخل القصيدة. ولا يهدف

---

[12] المرجع نفسه، ص159–160.

[13] أيمن محمود إبراهيم، "النداء بين النحو والتداولية"، المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة طنطا، ع36، ج1، يوليو 2019م، ص743.

[14] فهيمة لحلوحي، "النداء وقضاياه في ضوء المنحى الوظيفي"، ص163–165.

[15] المرجع نفسه، ص166–167.

هذا الرصد إلى الإحصاء الشكلي وحده، وإنما إلى الكشف عن موقع النداء في بناء النص، تمهيدًا لتحليل وظائفه التداولية في المبحث اللاحق.

وتكشف القراءة النصية للقصيدة أن النداء يتجه في معظم مواضعه إلى مخاطَب واحد هو "الوطن". فالشاعر لا يكتفي بالحديث عن الوطن بوصفه موضوعًا خارجيًا، بل يجعله طرفًا حاضرًا في الخطاب، من خلال صيغ نداء مباشرة مثل: "أيها الوطن المفدّى" و"يا وطني". ويظهر النداء في مواضع بنائية مهمة: في المطلع، وفي وسط القصيدة عند إعلان الرحيل وتبريره، وفي الخاتمة حيث تعود صيغة النداء نفسها التي افتتح بها النص. ومن ثمّ يصبح النداء علامة مركزية في بناء العلاقة بين الشاعر والوطن [16].

أولًا: مواضع النداء في القصيدة

تقوم قصيدة "فراق" على موقف وداعي واضح، ويتجلى ذلك منذ المطلع في قول الشاعر:

"رحيلي عنك، عزّ عليّ جدًّا *** وداعًا أيها الوطن المفدّى"

يفتتح الشاعر القصيدة بنداء مباشر للوطن، مقترنًا بلفظ "وداعًا" وبوصف "المفدّى". وتكشف هذه الصيغة منذ البداية أن النداء ليس مجرد أداة تنبيه، بل وسيلة لاستحضار الوطن في مقام وجداني مشحون بالحزن والتعظيم. فالمنادى هنا ليس شخصًا حاضرًا حضورًا حسيًا، وإنما وطن يستحضره الشاعر بوصفه قيمة عليا وكيانًا جديرًا بالفداء[17].

ثم يرد النداء مرة أخرى في سياق إعلان الرحيل، في قوله:

"سأرحل، عنك، يا وطني، وإني *** لأعلم، أنني قد جئت إدّا"

وتدل صيغة "يا وطني" على انتقال النداء من التعظيم العام في "أيها الوطن المفدّى" إلى القرب الوجداني في إضافة الوطن إلى ياء المتكلم. فالوطن هنا ليس مفهومًا عامًا، بل وطن الشاعر الخاص، المرتبط بذاته ووجدانه. ومن ثمّ تسهم الصيغة الندائية في الجمع بين فعل الرحيل واستمرار الانتماء [18].

ويأتي النداء بعد ذلك في سياق اعتذاري واضح، حين يقول الشاعر:

"ويا وطني، هجرتك، لا لبغض *** ولا أني منحت سواك ودّا"

وهذا الموضع من أهم مواضع النداء في القصيدة، لأنه يكشف عن وعي الشاعر بحساسية فعل الهجرة، وحاجته إلى نفي ما قد يلابسه من دلالة الجفاء أو الخيانة. فالنداء هنا يفتح مقامًا خطابيا يوجَّه فيه الاعتذار والتبرير إلى الوطن، ويجعل الوطن في موقع المتلقي الذي ينبغي أن يطمئن إلى استمرار محبة الشاعر ووفائه.

ثم يتكرر النداء في سياق يفسر البعد عن الوطن تفسيرًا وجدانيًا، في قوله:

"ويا وطني، نبابي، عنك، حب *** وأحيانًا يكون الحب صدّا"

وفي هذا الموضع يربط الشاعر النداء بمفارقة دلالية لافتة، إذ يجعل البعد صورة من صور الحب، لا نقيضًا له. وبذلك يتحول النداء إلى مدخل لتفسير الفراق تفسيرًا عاطفيًا وأخلاقيًا، قوامه أن الرحيل لا يلغي المحبة، بل قد يكون صادرًا عنها في ظروف مخصوصة [19].

وتبلغ القصيدة ذروة وداعها في قول الشاعر:

"ويا وطني، وداعًا، من محب *** تحير رأيه، أخذًا وردّا"

---

[16] أحمد رفيق المهدوي، ديوان شاعر الوطن الكبير: الفترة الثالثة، ط1، بنغازي: المطبعة الأهلية، 1382هـ/1962م، ص53–54.

[17] المصدر نفسه، ص53.

[18] المصدر نفسه، ص53.

[19] المصدر نفسه، ص54.

ففي هذا الموضع يتحد النداء مع الوداع اتحادًا مباشرًا، وتظهر الذات الشاعرة في حالة حيرة وانكسار وجداني. ثم تعود القصيدة في ختامها إلى الصيغة الافتتاحية نفسها:

"وجاشت، تخنق العبرات صوتي *** وداعًا أيها الوطن المفدّى"

ويكشف هذا التكرار الختامي أن النداء ليس عنصرًا عارضًا في النص، بل مكوّن بنائي يربط البداية بالنهاية، ويمنح القصيدة شكلًا دائريًا يبدأ بالوداع وينتهي به [20].

ويمكن تلخيص مواضع النداء الصريح في الجدول الآتي:

رقم	صيغة النداء	موضعها في القصيدة	المخاطَب	السياق الدلالي
1	أيها الوطن المفدّى	مطلع القصيدة	الوطن	الوداع والتعظيم
2	يا وطني	إعلان الرحيل	الوطن	الفراق مع بقاء الانتماء
3	ويا وطني، هجرتك لا لبغض	وسط القصيدة	الوطن	الاعتذار والتبرير
4	ويا وطني، نبابي عنك حب	وسط القصيدة	الوطن	تفسير البعد بوصفه حبًا
5	ويا وطني، وداعًا	قرب الخاتمة	الوطن	تكثيف الوداع والألم
6	أيها الوطن المفدّى	خاتمة القصيدة	الوطن	الإغلاق الندائي الدائري

يتضح من الجدول أن المخاطَب في جميع الصيغ هو الوطن، وأن النداء لا يتوزع على مخاطَبين متعددين، بل يظل مركزًا حول مخاطَب واحد. وهذا التركيز يمنح القصيدة وحدة خطابية واضحة، ويجعل العلاقة بين الشاعر والوطن المحور الذي تنتظم حوله دلالات الفراق، والوفاء، والاعتذار، والوداع.

ثانيًا: تصنيف صيغ النداء وسياقاتها

يمكن تصنيف صيغ النداء في قصيدة "فراق" بحسب الأداة والبنية والسياق. فمن حيث الأداة، تقوم الصيغ الندائية في القصيدة على استعمالين رئيسين: النداء بـ"يا" في "يا وطني"، والنداء بـ"أيها" في "أيها الوطن المفدّى". وتُعد "يا" أعم أدوات النداء في العربية، إذ تدخل في كل نداء، وتصلح لنداء القريب والبعيد، الحقيقي والمجازي [21]، وهذا الاتساع يجعلها ملائمة للسياق الشعري في القصيدة، لأن الوطن حاضر في وجدان الشاعر، لكنه بعيد عنه من جهة واقع الرحيل والفراق.

أما من حيث البنية، فتأتي صيغة "يا وطني" في صورة منادى مضاف، إذ أضيف "الوطن" إلى ياء المتكلم. وهذه الإضافة ذات قيمة دلالية ظاهرة، لأنها تنقل الوطن من الدلالة العامة إلى علاقة انتماء شخصية ووجدانية. فالشاعر لا يقول: "يا وطن" على سبيل الإطلاق، بل يقول: "يا وطني"، وفي ذلك إشارة إلى بقاء الصلة بين الذات والوطن رغم فعل الرحيل. وهنا تخدم البنية النحوية المعنى التداولي، لأن الإضافة تجعل المنادى أقرب إلى المتكلم، وأكثر التصاقًا به.

أما صيغة "أيها الوطن المفدّى" فتقوم على نداء اسم معرف بـ"أل" بواسطة "أيها"، وهي صيغة تتلاءم مع مقام التعظيم والتفخيم. ويقوّي هذا المعنى اقتران "الوطن" بالصفة "المفدّى"، حيث لا يُستحضر الوطن بوصفه مكانًا فحسب، بل بوصفه قيمة عليا تستحق الفداء. ومن اللافت أن هذه الصيغة وردت في المطلع والخاتمة، أي في موضعين حاسمين من بنية القصيدة، مما يؤكد دورها في إحكام الإطار الندائي للنص.

ومن حيث السياق النصي، تتوزع صيغ النداء على ثلاثة مواقع كبرى. يأتي الموقع الأول في المطلع، حيث يرتبط النداء بالوداع والتعظيم. ويأتي الموقع الثاني في وسط القصيدة، حيث يتصل النداء بإعلان الرحيل، ثم الاعتذار، ثم تفسير البعد

---

[20] المصدر نفسه، ص54.

[21] علي بن محمد الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق حسن حمد، إشراف إميل بديع يعقوب، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998م، ج3، ص15–16.

بأنه صورة من صور الحب. أما الموقع الثالث فيتمثل في الخاتمة، حيث يعود النداء ليغلق القصيدة بالصيغة نفسها التي افتتحت بها. وهذا التوزيع يدل على أن النداء عنصر موجه لحركة النص، لا مجرد أداة صوتية أو تركيبية.

وتدعم المقاربة التداولية هذا الفهم، لأن النداء في مثل هذه السياقات لا يقتصر على طلب إقبال المنادى، بل ينهض بوظيفة خطابية تتصل بالمتكلم والمخاطَب والمقام والقصد. وقد أشارت الدراسات التداولية إلى أن النداء يمكن أن يُقرأ بوصفه بنية تواصلية تكشف علاقة المتكلم بالمخاطَب، وتؤدي وظيفة تتجاوز حدود التركيب النحوي [22]، وبناء على ذلك، فإن نداء الوطن في القصيدة لا يهدف إلى تنبيه الوطن بالمعنى الحسي، وإنما إلى استحضاره رمزيًا ووجدانيًا داخل مقام الفراق.

وترد في القصيدة عبارة ذات دلالة مهمة هي قول الشاعر: "أناديه"، وهي ليست صيغة نداء مباشرة، لكنها قرينة نصية على وعي الشاعر بالفعل الندائي نفسه. فالشاعر لا يمارس النداء ضمنًا فحسب، بل يصرح بأنه ينادي الوطن بعد أن زُمّت ركابه واشتد عليه البين. وهذا التصريح يؤكد أن النداء في القصيدة فعل شعري مقصود، يرتبط بلحظة الفراق ويكشف عمق الصلة الوجدانية بين الشاعر ووطنه [23].

وبناءً على ما سبق، يمكن القول إن صيغ النداء في قصيدة "فراق" تتسم بثلاث سمات رئيسة: أولاها وحدة المخاطَب، إذ يتجه النداء كله إلى الوطن، وثانيتها مركزية الموقع، إذ ترد الصيغ الندائية في المطلع والوسط والخاتمة، وثالثتها تداخل البنية اللغوية بالوظيفة الخطابية، إذ تتحول الصيغة الندائية من تركيب نحوي إلى أداة في بناء علاقة وجدانية ووطنية بين الشاعر والمخاطَب. وتمهد هذه النتائج للمبحث الثالث، الذي يتناول الوظائف التداولية للنداء في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني.

المبحث الثالث: الوظائف التداولية للنداء في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني

بعد أن وقف المبحث السابق على صيغ النداء في قصيدة "فراق" وسياقاتها، يتجه هذا المبحث إلى تحليل وظائفها التداولية، أي إلى بيان ما تنجزه هذه الصيغ داخل الخطاب الشعري. فالنداء في القصيدة لا يقتصر على استدعاء المنادى أو تنبيهه، بل يتجاوز ذلك إلى بناء علاقة خطابية بين الشاعر والوطن، وإنتاج دلالات الفراق والوفاء والاعتذار ورفض الذل. ومن ثمّ فالقيمة الأساسية للنداء هنا لا تكمن في بنيته التركيبية فحسب، بل في قدرته على تحويل الوطن إلى مخاطَب وجداني حاضر في مقام القول.

أولًا: النداء واستحضار الوطن المخاطَب

يقوم الخطاب الشعري في قصيدة "فراق" على علاقة تخاطبية واضحة بين ذات الشاعر والوطن. وتظهر هذه العلاقة منذ المطلع في قول الشاعر:

"رحيلي عنك، عزّ عليّ جدًّا *** وداعًا أيها الوطن المفدّى" [24].

فالنداء في هذا الموضع لا يستدعي مخاطَبًا عاديًا، بل يستحضر الوطن بوصفه كيانًا رمزيًا عالي القيمة. وقد جاء النداء مقترنًا بلفظ "وداعًا" وبالوصف "المفدّى"، مما يجعل المخاطَب حاضرًا في مقام وداعي مشحون بالتعظيم والألم. ولا يتحدث الشاعر هنا عن الوطن حديثًا وصفيًا، بل يتوجه إليه مباشرة، فينقله من موقع الموضوع الغائب إلى موقع المخاطَب الحاضر. وتتأكد هذه الوظيفة في قوله:

"سأرحل، عنك، يا وطني، وإني *** لأعلم، أنني قد جئت إدّا [25].

---

[22] أيمن محمود إبراهيم، "النداء بين النحو والتداولية"، المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة طنطا، ع36، ج1، يوليو 2019م، ص743.

[23] أحمد رفيق المهدوي، ديوان شاعر الوطن الكبير: الفترة الثالثة، ص54

[24] أحمد رفيق المهدوي، ديوان شاعر الوطن الكبير: الفترة الثالثة، ط1، بنغازي: المطبعة الأهلية، 1382هـ/1962م، ص53.

[25] المصدر نفسه، ص53.

فصيغة "يا وطني" تكشف عن حضور المخاطَب في بنية القول، إذ إن إضافة الوطن إلى ياء المتكلم تجعل العلاقة بين الشاعر والوطن علاقة انتماء لا علاقة مكانية مجردة. فالشاعر، وهو يعلن الرحيل، لا يقطع صلته بالوطن، بل يؤكدها لغويًا من خلال الإضافة. وبهذا يتحول النداء إلى أداة تداولية تستبقي المخاطَب في وجدان المتكلم رغم مفارقته في الواقع.

وتتصل هذه القراءة بما تقرره المقاربة التداولية من أن الخطاب لا يُفهم في بنيته اللغوية وحدها، بل في علاقته بالمتكلم والمخاطَب والسياق والمقصد. فاستعمال النداء في مثل هذا السياق لا يراد به طلب الإقبال الحسي، بل بناء علاقة تواصلية يوجَّه فيها القول إلى مخاطَب مخصوص. وقد بينت دراسات الخطاب أن العلاقة بين طرفي التخاطب، وطبيعة المقام، وقصد المتكلم، عناصر مؤثرة في اختيار الصيغة الخطابية المناسبة [26]، ومن هذا المنظور، تبدو صيغة "يا وطني" اختيارًا دالًا، لأنها تجمع بين الخطاب المباشر والقرب الوجداني.

وتزداد وظيفة الاستحضار وضوحًا حين يكرر الشاعر مخاطبة الوطن في مواضع لاحقة، مثل قوله:

"ويا وطني، هجرتك، لا لبغض *** ولا أني منحت سواك ودّا [27].

فالنداء هنا يمهد لخطاب اعتذاري، ويجعل الوطن طرفًا يتلقى تبرير الشاعر. ولو قال الشاعر: "هجرت الوطن لا لبغض" لبقي الوطن موضوعًا إخباريًا، أما قوله: "ويا وطني، هجرتك" فينشئ مقامًا حواريًا، يكون فيه الوطن مخاطَبًا، وتكون الذات الشاعرة في موقع من يوضح موقفه ويدفع عن نفسه شبهة الجفاء. وهذا التحول من الإخبار عن الوطن إلى مخاطبة الوطن هو جوهر الوظيفة التداولية للنداء في القصيدة.

ومن ثمّ يمكن القول إن النداء في قصيدة "فراق" يؤدي وظيفة استحضارية مركزية، فهو يجعل الوطن حاضرًا داخل النص، لا بوصفه مكانًا جغرافيًا فقط، بل بوصفه ذاتًا رمزية تتلقى الوداع والاعتذار والوفاء. وبذلك تنبني القصيدة على علاقة تخاطبية قوامها: شاعر يرحل، ووطن يُخاطَب، ونداء يحافظ على الصلة بينهما.

ثانيًا: النداء ووظائف الوداع والاعتذار والتبرير

لا تقف وظيفة النداء في القصيدة عند استحضار الوطن المخاطَب، بل تتعداها إلى إنجاز وظائف كلامية متعددة. فالتداولية تنظر إلى القول بوصفه فعلًا يمكن أن ينجز أغراضًا بعينها، مثل الطلب، والوعد، والاعتذار، والتقرير، والتأثير في المخاطَب. وقد أشار مسعود صحراوي إلى أن اللغة العربية تشتمل على صيغ وأدوات يستعملها المتكلم للدلالة على القوة الإنجازية التي يريد تضمينها كلامه، وأن الفعل الكلامي يقوم على إنجاز يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة [28]، وبناء على ذلك، يمكن قراءة النداء في القصيدة بوصفه مدخلًا لإنجاز أفعال خطابية متتابعة، أبرزها الوداع، والاعتذار، والتبرير، وتأكيد الانتماء.

تظهر وظيفة الوداع في مطلع القصيدة وخاتمتها، إذ يفتتح الشاعر النص بقوله: "وداعًا أيها الوطن المفدّى"، ثم يختمه بقوله:

"وجاشت، تخنق العبرات صوتي *** وداعًا أيها الوطن المفدّى [29].

وتكرار الصيغة نفسها في البداية والنهاية يجعل الوداع إطارًا تداوليًا عامًا للقصيدة. فالنداء في المطلع يعلن بداية لحظة الفراق، والنداء في الخاتمة يعيد إنتاج اللحظة نفسها بعد أن مرّ النص بتجربة الرحيل والتبرير والألم. ومن ثمّ لا يكون التكرار هنا مجرد إعادة لفظية، بل يمثل إغلاقًا خطابيًا يعيد القصيدة إلى بؤرتها الأولى: وداع الوطن.

أما وظيفة الاعتذار فتظهر بوضوح في قوله:

"ويا وطني، هجرتك، لا لبغض *** ولا أني منحت سواك ودّا"

---

[26] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004م، ص52–56.

[27] أحمد رفيق المهدوي، ديوان شاعر الوطن الكبير: الفترة الثالثة، ص53–54.

[28] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2005م، ص7، 39–40.

[29] أحمد رفيق المهدوي، ديوان شاعر الوطن الكبير: الفترة الثالثة، ص53–54.

فالنداء في هذا الموضع يسبق فعل الاعتذار ويمهد له، إذ يحرص الشاعر على نفي البغض ونفي انتقال المودة إلى وطن آخر. وهذا النفي المزدوج يكشف عن أن النداء ليس غرضه الانفعال وحده، بل غرضه تصحيح معنى الهجرة في ذهن المخاطَب. فالهجرة، في ظاهرها، قد تُفهم على أنها ترك أو جفاء، لكن الشاعر يعيد تأويلها من خلال النداء بوصفها فعلًا اضطراريًا لا ينقض المحبة.

وتتصل وظيفة الاعتذار بوظيفة التبرير، إذ لا يكتفي الشاعر بنفي البغض، بل يقدّم في مواضع متعددة أسباب الرحيل، رابطًا إياه بعزة النفس ورفض القيد. ومن ذلك قوله:

"فقلت لطالب الإحسان قيدًا *** قبول القيد، من شيم العبيد"

فهنا يتجاوز الخطاب حدود الشكوى الفردية إلى موقف قيمي وأخلاقي، إذ يصبح الرحيل نتيجة لرفض المذلة لا نتيجة لضعف الانتماء. وتساعد صيغ النداء السابقة واللاحقة على إدراج هذا التبرير في إطار العلاقة مع الوطن، فالشاعر لا يبرر رحيله لقارئ مجهول فحسب، بل يبرره للوطن نفسه، لأنه هو المخاطَب المركزي في القصيدة.

وتبلغ الوظيفة الوجدانية للنداء ذروتها في قول الشاعر:

"ويا وطني، نبابي، عنك، حب *** وأحيانًا يكون الحب صدّا"

فهذه الصيغة تقدم تفسيرًا مفارقًا للفراق، إذ تجعل البعد صورة من صور الحب. والنداء هنا يؤدي وظيفة تأويلية، لأنه يعيد بناء معنى النأي عن الوطن في ضوء الوفاء له. فالشاعر لا يكتفي بالإخبار عن حبه، بل يخاطب الوطن مباشرة ليقرر أن هذا النأي ليس قطيعة، بل تعبير مؤلم عن المحبة في ظرف قاهر. وبذلك يتحول النداء إلى أداة لإنتاج المعنى الوجداني لا مجرد وعاء له.

وتتجمع هذه الوظائف في قول الشاعر:

"ويا وطني، وداعًا، من محب *** تحير رأيه، أخذًا وردّا"

ففي هذا البيت يلتقي النداء بالوداع والحب والحيرة، وتتضح طبيعة الخطاب الوطني الوجداني في القصيدة. إنه خطاب وطني لأن المخاطَب فيه هو الوطن، ووجداني لأن العلاقة معه تتشكل عبر الألم، والحنين، والوفاء، والاضطراب النفسي. وتكشف صيغة "من محب" أن الشاعر لا يريد للوداع أن يُفهم بوصفه انفصالًا، بل بوصفه فعلًا يصدر عن محب يودع ما لا يستطيع البقاء معه.

وعليه، فإن الوظائف التداولية للنداء في القصيدة تتكامل في بناء خطاب وطني وجداني متماسك. فالنداء يستحضر الوطن مخاطَبًا، والوداع يحدد مقام القول، والاعتذار ينفي دلالة الجفاء، والتبرير يربط الرحيل بعزة النفس، وتكرار النداء يحفظ وحدة العلاقة بين الشاعر والوطن. ومن هنا يتضح أن النداء في قصيدة "فراق" ليس عنصرًا أسلوبيًا عارضًا، بل هو أداة مركزية في تشكيل الخطاب، وفي تحويل تجربة الرحيل من واقعة مكانية إلى موقف وجداني وأخلاقي قائم على الحب والوفاء ورفض الذل.

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن دور النداء في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني في قصيدة "فراق" لأحمد رفيق المهدوي، من خلال مقاربة تداولية تجمع بين رصد البنية اللغوية للنداء وتحليل أثرها في بناء المعنى داخل النص. وقد انطلقت الدراسة من ملاحظة مركزية مفادها أن النداء في القصيدة لا يرد بوصفه تركيبًا نحويًا معزولًا، وإنما بوصفه أداة خطابية تسهم في استحضار الوطن مخاطَبًا، وتوجيه التجربة الشعرية نحو علاقة وجدانية مباشرة بين الشاعر ووطنه.

وقد بينت الدراسة أن قصيدة "فراق" تقوم على موقف وداعي عميق، غير أن هذا الوداع لا يعني الانقطاع عن الوطن أو التخلي عنه، بل يكشف عن استمرار الانتماء في لحظة الرحيل. فالنداء يحوّل الوطن من مكان غائب إلى طرف حاضر في الخطاب، يتلقى من الشاعر الوداع، والاعتذار، والتبرير، وتأكيد الوفاء. وبهذا تصبح الصيغ الندائية في القصيدة عنصرًا فاعلًا في بناء الدلالة، لا مجرد وسيلة صوتية أو أسلوبية.

كما أظهر التحليل أن تكرار صيغتي "أيها الوطن المفدّى" و"يا وطني" يؤدي وظيفة بنائية وتداولية في آن واحد، فهو يربط مطلع القصيدة بخاتمتها، ويوحّد مسارها الدلالي حول مخاطَب واحد هو الوطن، ويكشف عن عمق الصلة بين الذات الشاعرة والمخاطَب الوطني. ومن هنا تتجلى أهمية القراءة التداولية، لأنها تكشف ما ينجزه النداء من وظائف تتجاوز التنبيه إلى بناء مقام تخاطبي كامل تتداخل فيه دلالات الفراق، والحب، والوفاء، وعزة النفس.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. أثبتت الدراسة أن النداء في قصيدة "فراق" يمثل عنصرًا مركزيًا في بناء النص، إذ يرد في مواضع مفصلية من القصيدة، ولا سيما في المطلع والوسط والخاتمة.
2. كشفت الدراسة أن المخاطَب في الصيغ الندائية جميعها هو الوطن، مما يمنح القصيدة وحدة خطابية واضحة، ويجعل علاقة الشاعر بالوطن المحور الرئيس الذي تنتظم حوله دلالات النص.
3. بينت الدراسة أن صيغة "أيها الوطن المفدّى" تؤدي وظيفة التعظيم والتفخيم، وأن ورودها في الافتتاح والاختتام يسهم في إحكام البناء الدائري للقصيدة.
4. أظهرت الدراسة أن صيغة "يا وطني" تؤدي وظيفة وجدانية قائمة على القرب والانتماء، إذ تنقل الوطن من دلالته العامة إلى علاقة خاصة متصلة بذات الشاعر ووجدانه.
5. توصلت الدراسة إلى أن النداء يحوّل الوطن من موضوع خارجي للحديث إلى مخاطَب حاضر في مقام القول، وبذلك ينشئ علاقة تداولية مباشرة بين المتكلم والمخاطَب.
6. بينت الدراسة أن النداء ينجز داخل القصيدة وظائف تداولية متعددة، أبرزها الوداع، والاعتذار، والتبرير، وتأكيد الوفاء، وهي وظائف تسهم في تشكيل الخطاب الوطني الوجداني.
7. أكدت الدراسة أن الفراق في القصيدة لا يُقدَّم بوصفه قطيعة أو جفاء، بل بوصفه موقفًا وجدانيًا وأخلاقيًا نابعًا من الحب والوفاء ورفض الذل، وقد كان النداء الأداة الأبرز في إبراز هذا المعنى.

وبناءً على ذلك، تخلص الدراسة إلى أن النداء في قصيدة "فراق" ليس ظاهرة لغوية جزئية، بل هو بنية خطابية ذات أثر واضح في تشكيل التجربة الشعرية. فقد استطاع أحمد رفيق المهدوي من خلال النداء أن يجعل الوطن حاضرًا في لحظة الغياب، وأن يحوّل الرحيل من مجرد حدث مكاني إلى موقف وطني وجداني قوامه الحب، والوفاء، والكرامة.

قائمة المصادر والمراجع

1. أحبيكة، عبد الله امحمد. "الرمز في الشعر الليبي: أحمد رفيق المهدوي أنموذجًا". ضمن *:المؤتمر العلمي الدولي الأول لقسم اللغة العربية وآدابها: الشعر الليبي الفصيح موضوعاته وقضاياه* .جامعة الزاوية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، 5–6 نوفمبر 2018م، إعداد للنشر: مسعود عبد الله مسعود الميساوي، ص454–465.

2. الأشموني، علي بن محمد .*شرح الأشموني على ألفية ابن مالك* .تحقيق حسن حمد، إشراف إميل بديع يعقوب. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998م.
3. إبراهيم، أيمن محمود محمد. "النداء بين النحو والتداولية" .*المجلة العلمية بكلية الآداب*، جامعة طنطا، ع36، ج1، يوليو 2019م، ص743–770.
4. ابن خليل، أم السعد عبد الله، وابن خليل، فوزية عبد الله. "أسلوب النداء في همزية البوصيري: دراسة لغوية بلاغية" . *مجلة المنتدى الأكاديمي*، مج6، ع2، يوليو 2022م، ص1–28.
5. آمِنَة عَامِر عُمَر التّرهُونِيّ. (2025). حروف الجَر في سورة طه. *مجلة العلوم الشاملة*, *9*(36), 780–800.
6. الزركلي، خير الدين .*الأعلام* .ط15. بيروت: دار العلم للملايين، 2002م.
7. الشهري، عبد الهادي بن ظافر .*استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية* .ط1. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004م.
8. صحراوي، مسعود .*التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي* .ط1. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2005م.
9. الطياري، انتصار محمد سالم. "إضاءات نصية على قصيدة فراق لأحمد رفيق المهدوي". ضمن :*المؤتمر العلمي الدولي الأول لقسم اللغة العربية وآدابها: الشعر الليبي الفصيح موضوعاته وقضاياه* .جامعة الزاوية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، 5–6 نوفمبر 2018م، إعداد للنشر: مسعود عبد الله مسعود الميساوي، ص214–250.
10. القطاوي، محمد مصطفى. "ملامح دلالية تداولية في أسلوب النداء في ديوان العودة من النبع الحالم للشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي" .*مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، مج19، ع1، مارس 2022م، ص299–331.
11. المهدوي، أحمد رفيق .*ديوان شاعر الوطن الكبير: الفترة الثالثة* .ط1. بنغازي: المطبعة الأهلية، 1382هـ/1962م.
12. لحلوحي، فهيمة. "النداء وقضاياه في ضوء المنحى الوظيفي". حوليات المخبر، مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع1، 2013م، ص155–171.